

# في تربية الاطفال

On Brining up of Children

عرض وتحليل بقلم المربية الفاضلة

الآنسة رينب الحكيم

إن الموضوع الذي نعرض لبحثه على هذه الصفحات من مجلة « المعرفة » موضوع كثيراً ما اختلف فيه علماء « البيداجوجيا » اختلافاً يتعدد حيناً ويتقارب حيناً آخر . ولذلك ما تزال نرى مجاز القول فيه متسماً ، وميدان الكلام حوله فسيحاً .

ومن بين المشتغلين بهذا النوع من التربية الآنسة « فانجان Vanghan » مؤلفة كتاب « الجندي والرجل الملكي The Soldier and Gentleman »

ولكي تكون لدى القاريء فكرة — ولو موجزة — عن هذه السيدة نقول : إنها زوجة المستر « شارل مورجان Charles Margan » مؤلف رواية النافورة The fountain الذائعة الصيت .

ثم هي سيدة موفورة النشاط ، متعددة المشاغل ، دأمة العمل ليل نهار في سبيل دراسة المجتمع والعمل على تنقيته من الشرور والآثام، وذلك بنشر الآراء الصائبة، وعلاج الأمراض الدفينة التي تتطلب خبرة ومهارة فائقتين ، قل أن يتوقرا لشخص توفرها لهذه السيدة التي تعتبر بحق في مقدمة قادة المجتمع ورسلا الإنسانية المعذبة، ثم هي — فوق ذلك كله — أم صالحة ، تعنى قبل كل شيء بتربية طفلها البالغ أكبرها ثماني سنوات ، والبالغ صغيرها ست سنوات . وبما أنها لا تؤمن بشظرية من النظريات ، أو رأى من الآراء ، إلا إذا بحثته بنفسها ، وارتضاه عقلها، أو هدتها إليه التجربة ، فقد رأينا أن تقدم لقارئنا وقراء هذه المجلة رأياً الجديدي في تربية الطفل .

\*\*\*

قالت : إنه لمن العسير جداً ، أن نحصل في هذا العصر الذي نعيش فيه ، على أسر كبيرة كما كانت الحال من قبل ، ولهذا يجدر بالأم أن تجد لها مهلة أخرى خارج المنزل . إن الأم التي تقصر كل عنايةها على طفل واحد، وتقف عليه كل جهودها ، لتكوين هذه العناية من أقوى العوامل النفسية خطراً ، وأشدّها أثراً في نفس ذلك الطفل ، فإن تصويب النظر الفردي على محور واحد ، يحول مجرى الأمور إلى غير ما قصد منها .

أعزى طملك ، وأحبيه من كل نفسك ، فلن نقول في ذلك شيئاً ، لكن يجب ألا يبلغ ذلك حد الإسراف ، ويجب أن تقدر أن الطفل في حاجة مستمرة إلى أن تغمره بحبك ، ولكن يجب ألا يكون ذلك الشغل الشاغل لحصر انتباهك فيه .

فإن الأم الشديدة اللهفة ، الكثيرة الحيرة ، التي لا تعمل لها ، أو التي ليس لديها عمل كاف يستنفد وقتها في المنزل ، أو التي لم ترزق عدداً كبيراً من الأطفال ، أم هذه حالها ، لاشك في أنها تجار بالشكوى ، وتضج وتراخ لحياة لأقل سبب ، ولآثاره المؤثرات ، ولهذا تكون قلقة دائماً ، مهومة متلهفة أبداً ، وإنه لمن السهل أن يراخ الإنسان ، كما إنه من السهل أن تعلم كيف يسبب الإنسان لنفسه الشقاء ، ويقوم في سبيلها المراقيل والصعاب .

تحدث السيدة مورجان عن نفسها عندما رزقت أول طفل فتقول إنها حرصت كل الحرص على قراءة جل الطرق الحديثة ، التي انتهى إليها علم البيداجوجيا ، ولم تكف بذلك ، بل وضعت نفسها بين أيدي أخصائيين عديدين ، كما استخدمت عدداً من المربيات Nurses اعتقاداً منها بوجود تنشئة الطفل تنشئة كاملة صحيحة ، وحرصاً منها على أن تحيط هذه التنشئة وما يتفرع عنها أو يمت إليها بصلة ، بسياج من الصحة ودقة المراقبة والتنفيذ ؛ ولكنها بعد التأمل والمران وبعد ما عرفت عن خبرة ، رأت أنها — كأم — فقدت الروح الخاص ، أي روح الأمومة ، روح الشفقة ، روح الشوق والحنان ؛ لأن الطفل لا يتطلب الحب الغزير في كل الأوقات ، ولا عناية فائقة أكثر مما يحتمل في مرضه ، بل بالعكس ثبت لها أن انصرافها كل الانصراف إليه يفضيه أحياناً ، كما وجدت أن شدة مراقبته عن قصد تسبب له الضرر وأحياناً السقم ، كذلك تقلقه كثرة الترتيبات وسن الخطط له بلا انقطاع ، فضلاً عن أن في تعدد الطرق وتنوعها ، ما يسبب للأُم القلق والضرر ، فنظل غير سعيدة ، كما يظل طفلها سقيماً كثير العبث بالأشياء التي حوله .

لذلك يجب أن نبدأ في الأخذ بتنشئة أطفالنا باعتدال ، وإلا نشأ الطفل مكدوداً يراخ لحياة لأنفه الأسباب ولأوهي الصعاب التي تعادفه في بداية حياته كطفل ، وبذلك يصبح إصلاح ما حدث جدي غير ، كما يصبح العمل من أجله غير مجد ؛ لأن الهدوء الطبيعي والسعادة الطبيعية لم تنتهز فرصهما في الأشهر الأولى ، — وهي المدة الملائمة لرسم الخطط وطبع الآثار التي تظل عالقة بالذهن مدى الحياة .

وليس من شك في أهمية الطريقة التي تتبع مع الطفل مبدياً ، فإذا أردت أيها الأم أن تكون العلاقة بينك وبين طفلك علاقة حسنة سعيدة ، فإنه يجب عليك إيجادها قبل ولادته .  
أما إذا كرهت وجود الطفل ، فإنه يستقبل حياة كلها غموض ؛ ولهذا كان من المحتم أن تسبق

أحبة الأم محبي الطفل ، كما أن من الواجب أن يسبق الترحيب به وجوده في هذا العالم .  
ومن المسلم به أنه إذا حملت الأم طفلها بحال طبيعية، ووضعته وضعاً طبيعياً، فإنه يكون لذلك أثر طيب في حياة الاثنين معاً ، هذا إذا نظرنا إلى الموضوع نظرة « بيكولوجية » وبعبارة أخرى إذا أعرنا الموضوع قيمته من ناحية « علم النفس » .  
ثم إنه لا يمكن الأم أن تحب طفلها حباً صادقاً ما لم تتحمله جنيناً برغبة صادقة ، وإلا فكم من الأمهات الحديثات يقدرن شعور الألم لأنهن لا يحببن أطفالهن الحب الكافي ، فيجتهدن أن يعوضن ذلك الشعور ( شعور الحب ) طوال حياتهم بشق الوسائل .  
لكن هذا الشعور وذلك السلوك المتعمدين لا يمكن أن يخفى أمرهما على الطفل بحال ما، بل إن الطفل لا يتخضع بهما مطلقاً، ومن ثم تنمو العلاقة بين كل من الأم والطفل بشكل مصطنع ، فيصبح الطفل غير سعيد، عابثاً كل العبث، أو خبيثاً شقيماً، Naughty، ومن ثم تنشأ فكرة عقابه.

### عقاب الطفل

وليس من شك في أن محاولة العقاب أو مجرد التفكير فيه ، يعتبر خطأ كبيراً ، لأن خير علاج في هذه الحال هو أن يتجنب العقاب كما يتجنب الضغط .  
يقول مستر شارل مورجان Charles Morgan عن هذه العقوبات التي توقع على الطفل :  
« إنني لا أؤمن بالضرب وإنما أؤمن بمساواة حقوق المرأة والرجل ، فليس من حق أحدهما أن يجيز ضرب طفل ما لم يجيزها معاً ضرب طفلة في مثل الظروف الذي جاز أن يضرب الطفل فيه »  
وقال أيضاً : « إن الناس الذين يضربون الأطفال ، يلزم أن يقدرُوا أنما عساه يحدث المأ أو قللاً جسمياً بالنسبة لطفل ما ، ربما يسبب موتاً اختناقياً لطفل آخر » .  
وقد وافقت السيدة مورجان على رأي زوجها . وأضافت إليه قولها : « إنه على فرض عدم استعمال الضرب مطلقاً ، وندرة الالتجاء إلى العقاب ، فأرى أنك أنت أيها الأم ، تسببن أضراراً لا آخر لها ، بإخضاعك الطفل لإرادة البالغ ، وتعرضنه للتأثر بشخصيته ( شخصية البالغ ) ، وذلك بإجباره على قبول كل فكرة وكل عقيدة لك ؛ ولهذا السبب أفادى بأعلى صوتي : أنه لا يجب أن يكون لأي امرأة أطفال ، كما لا يجب أن تؤسس مربي ، ما لم يكن لديها شوق صادق ورغبة أكيدة في ذلك ، ولم يكن لديها مشاغل أخرى تستنفد جزءاً عظيماً من انتباهها » .

وإخلاصة أنه لكي ننشئ طفلاً صحيحاً يجب أن نعلمي قبل كل شيء بأسر الطفل قبيل وجوده ، كما نعلمي بتكوين شخصيته وبث روح الاعتماد على النفس فيه ، فلا نضطر إلى توقيع العقاب الذي يكون له أسوأ الأثر في حياته كفرد من أفراد المجتمع .  
زينب الحكيم